"توابيت الأفراد وتطورها حتى نهاية الدولة الوسطى"

نياظ محمد على نزلاوى

أتناول فى هذا البحث موضوع فى غاية الأهمية وهو بداية ظهور تـــابوت الأفراد وتطور أهدافه وأسمائه مستعرضاُ أرتقاء الفكر الدينى لدى المصرى القديم ، ونتج عن ذلك ظهور التابوت البدائى وكيف تطور هذا التـــابوت مـــن حيـــث الأهداف والأسماء وكيف وصل تابوت الأفراد ليضاهى توابيت الملوك فى عصر الأنتقال الأول .

أرتقاء الفكر الدينى :

عندما أرتقى الفكر الدينى لدى المصرى القديم فى العصور البدائية ، معتقداُ ان هناك نوعين من الموت وهما – الموت الاول وهو مفارقة الحياة أى مفارقـــة الروح للجسد والدخول الى عالم غامض ، ولكن لم يعتبره نهاية الحيـــاة وإنمـــا مرحلة أنتقالية لمرحلة أخرى (شكل رقم ١).

الموت الثانى هو تحلل الجسد وفساده ،مما أدى الى خوف المصرى القديم من الموت الثانى ، وهو ربما يكون العائق فى عملية البعث مرة أخرى ، وتخيل الأنسان البدائى أن إله الخلق شكل البشر من جزئين أساسيين أولهما المـــادى أى الجسم الطبيعى الذى يحوى بداخله خاصية قبول عوامل الفناء ، أما الجزء الثانى هو الروح التى كان مستقرها السماء بعد الموت[١].

بداية ظهور التابوت :

لم يظهر التابوت بشكله الحالى وإنما أخذ فترات طويلة بهـــذا الشـــكل المتطـــور ومراحله المختلفة ، وكانت الفكرة الوحيدة من ظهور التابوت هو الحفـــاظ علـــى الجسد سليماُ من التلف وذلك لضمان عملية البحث فى الأخرة ، وهذا أعتقاد دينى بحت ، وظهرت الفكرة عندما كان المصرى القديم يفكر فى حماية حفرة الـــدفن

من انهيال الرمال عليها ، فعمل على تدعيم هذه الحفرة بواسطة أفرع الأشـــجار والسلال والحصير مع ربطهم مع بعضهم البعض لِيكون شى مستطيل أو مربـــع حول الجسد لحمايته وربما تكون هذه الفكرة الأولى للتابوت البدائى التى ظهرت وبوضوح فى اغلب الحضارات القديمة ، فنرى فى حضارة دير تاســا ظهــور التابوت فى شكله البدائى وهو عبارة عن سلة مستطيلة من البوص والأغصـــان يغطيها حصير[١].

ثم ظهرت قدور فخارية كبيرة كان يطلق عليها أسم " مـــاجور " pan-) (Graves وهو تعبير عامى يتم استخدامه حتى الأن، وكان يدفن فيها الأطفـــال وذلك لحماية أجسادهم ثم نلاحظ قرب نهاية عصر ماقبل الأسرات، (أنظر شـــكل رقم٢) الأجسام تتوأرى فى توابيت من الخشب أو الطين المحـــروق[٢] وكـــان التكفين له دور هام فى اظهار فكرة التابوت، لأن المصرى القديم أدرك أن حفظ الجسد بالكتان أو الحصير أو الجلد، ثم تثبت هـــذه المـــواد بالصـــمغ أو أشـــياء أخرى[٣] وكان يتم تغطية حفرات الدفن بقطع من الخشـــب أو فـــروع الأشـــجار وأحياناً من الكتان وكلها تعمل على حماية الجسد سواء من أنهيار الرمال داخـــل الحفرة أو تعرض جسد المتوفى للعوامل الخارجية سواء البشرية أو الطبيعية [٤].

ووجدت مجموعة عصى طويلة وقطع من الحصير وأغصان متشـــابكة مـــع بعضها البعض فوق لوحة عريضة أو سرير منخفض يوسد عليه المتوفى، وتكـــون هذه اللوحة العريضة قاعدة لتعريشة تحمى جسد المتوفى من أنهيار الرديم عليهـــا، وبالتالى كانت العصى بمثابة دعائم لهذه اللوحة، والحصير سقفها، فتكـــون الشـــكل المستطيل أو المربع من المواد السابقة فوق المتوفى وهى تستخدم فى تسقيف القبر كله بسقف واحد[٥] تابوت بدائى على شكل سله من الغابات (شكل رقم ٣).

كانت التوابيت البدائية فى عصور ماقبل الأسرات غير منقوشة أو مزخرفه إلا بعض التوابيت الفخارية، كانت توجد بها فتحتان أمام عينى المتوفى، والتى سميت فيما بعد " بعينى الوجات " أنظر (شكل رقم ٤) ومع بداية عصر الأسرات أختلف تابوت الأفراد Private Coffin عن تابوت الملوك King Coffin فكان تابوت الأفراد سهل وبسيط من الأخشاب والفخار ولا توجد عليه زخارف إلا فتحتان العينين في جانب التابوت وسوف يقوم الباحث بدراسة هذه الفتحات والمغزى من وجودهما على هذه التوابيت .

وفى الدولة القديمة تطورت أشكال وأنواع التوابيت من الأخشاب والفخار والأحجار الجيرية والأحجار الصلبة، وخاصة توابيت الملوك وتنوعت أيضاً الزخارف وبعض الكتابات الموجودة على هذه التوابيت في الدولة القديمة فكانت عبارة عن أحزمة أفقية أو رأسية تشمل اللقاب وأسماء أصحاب التوابيت، وكتبت بالحبر أو رسمت عليه وغطى الوجه الداخلى للتابوت بطبقة بيضاء مائلة للأصفرار، وغطت بالنقوش من كتاب الموتى وكانت تكتب بالحبر الأحمر أو الأسود بالهيروغليفية[٦] بجانب إشرأق عينى الوجات*
"Wḏ3t " eyes

وغالباً تهدف الى الأرتباط ورؤية العالم الخارجى[٧] المرسومة فوق الباب الوهمى الذى يشبة واجهة منزل أو قصر ملكى، وهذا الباب ملون ومقفول، ومحاط بأطار مزين مثلما نرى فى تابوت للمدعو " ورت –عنخ "[٨] وبنهاية الدولة القديمة وعصر الأنتقال الأول وأستقلال وزيادة نفوذ حكام الأقاليم التي أفرزت كميات كبيرة وضخمة من هذه التوابيت ومعظمها من المقابر الصخرية التي لها طرز معمارية مميزة وفريدة (شكل رقم ٥)

أهداف التابوت وتطوره جنائزياً

كان للتابوت هدف واحد فى بداية نشأته، ولكن تعددت الأهداف بعد ذلك فى العصور التاريخية فنرى فى بداية الأمر كان الهدف الوحيد هو الحفاظ على الجسد سواءاً من نبش القبور عن طريق كلاب الصحراء الضالة أو عن طريق لصوص القبور أو من إنهيال الرمال على الجسد أو إظهار عظامه فوق سطح الأرض عن طريق التعرية، لذلك فكر الأنسان الأول فى كيفية الحفاظ على جسد موتاهم عندما نمى الفكر الدينى لهم، لضمان عملية البعث والخلود فى الحياة الاخرى فكانت التوابيت فى بادى الأمر بدائية الصنع، ليس عليها أية نقوش .

وكان المغزى من التوابيت خلال عصر الدولة القديمة هو أيضاً الحفاظ على الجسد من الفناء ولكن زادت معتقداته الدينية فى رسم بعض الزخارف مثل عينا الوجات – الباب الوهمى – واجهة منزل أو قصر ملكى، لأنه لم يكن التابوت مرادفاً للجمود والثبات بل دليل على الحركة والحيوية وهو ماتجسد فى فكرة خروج ودخول وعبور "الكاء" من والى التابوت خروجاً من العالم السفلى الى السماء ويؤكد ذلك تجسيد الباب الوهمى، وتوجد بعض الكتابات عبارة عن أحزمة أفقية أو راسية على التابوت، تمثل أسماء واللقاب المتوفى[٩] تسبقه كلمة:–

M3ᶜ ḫrw – مع خرو

وتعنى صادق الصوت أو المبجل (المبرأ)[١٠]

ونراها على معظم توابيت الأفراد فى مصر الوسطى فمثلاً تابوت للسيدة "روت " الموجود بالمتحف المصرى تحت رقم JdE 42949 وهو مستخرج من منطقة مير [١١]

أسماء التوابيت فى مصر القديمة

عرفت التوابيت بالعديد من الأسماء فى مصر القديمة فنرى الإسم الاكثـــر شيوعاً فى الدولة القديمة هو:

١- ḳrsw وهى كلمة مصرية أطلقت على التابوت [١٢]

ḳrsw

وكُتب هذا الإسم بالعديد من الأسماء خلال الدولة القديمة وهذا النوع أتخذ الطراز المعمارى وصمم على أنه مسكن أو قصر:

(١٤)

(١٣)

ḳrsw

ḳrsṯ

ḳrsṯ-

-ḳrsṯ -

- ḳrsw

- ḳrsw

٢- جروت- [١٥]ḏrwt واشتهر هذا الأسم خلال الأسرة الرابعة فى عصر بناة الأهرامات وكُتبت بهذا الشكل :

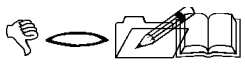

ḏrwt [١٦]

٣- نب عنخ - nḫ- ʿ- nb- وتعنى سيد الحياة

ووجدت بهذه الأشكال :

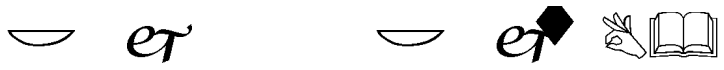

(١٧) nb -ꜥnḫ

٤- سُحت swḥt ويعنى التابوت الذى يشبه البيضة عندالمصريين القـدماء وظهر هذا النوع من الاسماء خلال الدولة الوسطى:-

(١٨)swḥt

٥- جبيت - ḏbiṯ- ويعنى هذا الأسم مقصورة أو تـابوت وكتبـت بهـذه الأشكال :

(١٩)

ḏbiṯ dbiṯ

ḏbyt

وهو التابوت الحجرى Sarcophagus (٢٠)

وكان يسمى فى اللغة اللاتينية بهذا الأسم ويعنى الحجر الذى يلتهم اللحـم، كناية عن تحلل الجسد بداخله، ويوجد أيضاً أعتقاد هيلينى وأضح أن الأحجار التى تستخدم فى صناعة التوابيت الحاوية لأجساد الموتى كانت تتلفها وتفنيهـا رغـم

قدسيتها[٢١] وسميت التوابيت الحجرية Stone

[٢٢] sarcophagi – Coffins

والقسم الثانى التى أتخذ الهيئة الموميائية من الدولة الوسطى أطلق عليه العديد من الأسماء فنرى منها :

– mn -ˁnḫ-

مثبت الحياة

– nb -ˁnḫ-

سيد الحياة

– nb -ˁnḫ -ḥn-ˁn

سيد الحياة أوصندوق الحياة[٢٣]

لأن المصرى القديم أعتبر التوابيت صناديق الحياة، وليس لحفظ الجسد فقط بل أنها لحفظ الحياة ومقوماتها وكل مايحتاجه المتوفى فى العالم الآخـــر، ولقـــب أيضاً "أوزير" بسيد التابوت أو المشرف على التابوت كما نرى :

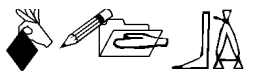

ḫnti ḏbi̯t

سيد التابوت

أيضاً وصف رع نفسه كما ورد فى كتاب الأرض بانه :

" ḏbỉtỉ"

المنتمى للتوابيت[٢٤]

وربما يرجع تعدد أسماء التوابيت الى تعدد أنواعها وأشكالها خلال العصور الفرعونية المختلفة، ويرجع ايضاً الى تطور الكتابة المصرية القديمة خلال تلك العصور والتطور الدينى الذى ظهر على التوابيت منذ عصر الأنتقال الأول والدولة الوسطى والذى سمي باسم متون التوابيت والذى سبق الحديث عنه .

متون التوابيت وأهدافها

هذه النصوص ماهى الأ نصوص الأهرام التى ظهرت فى الدولة القديمة، وماهى الأ تعاويذ دينية قديمة، وحفظت فى الدولة القديمة فى هرم ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة، وسُجلت فى معظم أهرامات ملوك الدولة القديمة ثم أضيفت إليها تعاويذ جديدة[٢٥].

وكانت عبارة عن أعمدة راسية داخل التوابيت الخشبية لعامة الشعب، وهذا الموقع الجديد هو الذى جعلها نطلق عليها متون التوابيت، وإنقلاب الأوضاع بعد قيام الثورة الاجتماعية فى نهاية الدولة القديمة لم تكن سياسية فقط بل كانت فكرة دينية الى حد كبير ونتج عنها أيضاً نمو الروح الفردية وضياع سلطان الفرعون وهيبته فى عين الشعب، وظهرت فى هذه الفترة كتابات دينية على التوابيت مع تفوق العقيدة الأوزيرية وهذه النصوص كتبت من الداخل وهى تطور لنصوص الأهرام وظهرت متون التوابيت فى عصر الأسرة التاسعة والعاشرة، واستمرت طوال عصر الدولة الوسطى، ويبلغ مجموع هذه النصوص أكثر من ١٢٠٠ وهى مجموعة من الصيغ الجنائزية التى كانت تكتب على الجدران الداخلية للتوابيت

التى عثر عليها فى بنى حسن والبرشا والأشمونين وأسيوط والدير البحرى وجبلين وسقارة وغيرهاوكانت هذه الصيغ تكتب بالمداد الاسود والعناوين بالمداد الاحمر بعضها من نصوص الاهرام والاخر من تاليف الكهنة مما يتناسب مع أمال الناس.

وقام بنشرها العديد من الباحثين والعلماء منهم :

-De Buck,A., The Egyp on Co ns Texts,7 Voles,Chicago(1935-1961).

-Faulknar,R.o.,The Ancient Egyp on Co n Texts,7 Voles(1973-1978),Need Ox ford U.K.Airs&Phillips,2004.

وكانت هذه الصيغ تكتب بالمداد الأسود والعناوين بالمداد الأحمر بعضها من نصوص الأهرام والأخر من تأليف الكهنة مما يتناسب مع أمال الناس وتدل هذه النصوص على مانالله أفراد الشعب من حقوق دينية لم يكن يتمتع بها إلا الملوك فى عصر الدولة القديمة، وهى نصوص فى أغلبها حماية وتأمين للمتوفى فى العالم الآخرة ، فكانت هناك فقرات :" ضد الفناء فى عالم الموتى" أو" لتجنب الموتى الثانى " أو لتناول الخبز فى عالم الموتى " أو لكف أذى الثعبان والتمساح "وهناك عدد كبير من الفقرات التى تمكن المتوفى من تقمص صور كثير من المعبودات والحيوانات، وتوكد هذا الامر الفقرة ٢٩٠ تاكيداً تاماً، حيث تحتوى فى أخرها على الكلمات الأتية " سيحول المرء الى أى معبود يرغب فى التحول اليه أهداف متون التوابيت

هى نصوص تعمل على مساعدة المتوفى خلال رحلته بالعالم الأخر بالاضافة الى الكثير من النصوص التى لعبت "أوزيريس وحورس "كما أحتوت النصوص على صلوات وتقدمات "لأوزير" وقد لعب الإله "أوزير" دوراً هاماً فى هذه النصوص، فهو ملك الوجود بالعالم الآخر الذى يأمل المتوفى فى أن يقضى العالم الآخر معه وأتخذ "أوزير" دور القاضى فى محكمة المتوفى حيث أصبح "أوزير" إله الموتى فى الدولة الوسطى والحديثة، أيضاً لعبت هذه النصوص دوراً

هاماً فى جميع المهام التى يجب أن ينفذها المتوفى فى أبديته فى حقول "الأيـــارو" وتحدثت النصوص عن الرحلة الى "رستاو" (٢٦).

الأشكال والصور

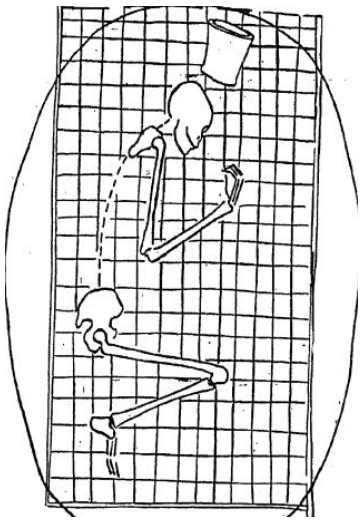

شكل رقم(١)

-شكل تخطيطى يوضح وضع الجسد والقرابين على حصيرة بالمقبرة من ديـــر تاسا

نقلاً عن :- ابراهيم يوسف ألشتلة المرجع السابق،ص٩٦.

شكل رقم(٢)

-تابوت من الفخار وبه المتوفى فى وضع القرفصاء وحوله الاوانـــى الفخاريـــة المحتوية على القرابين المختلفة

نقلاً عن:- إبراهيم يوسف الشتلة المرجع السابق،ص١

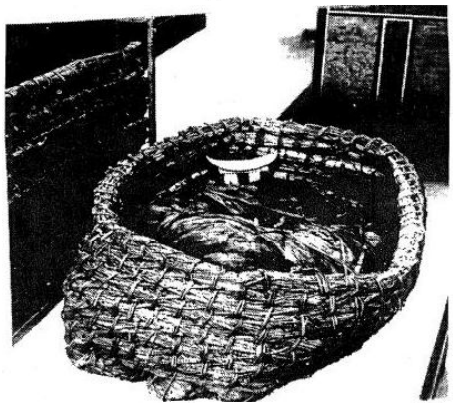

شكل رقم (٣)

تابوت من السلال تم العثور عليه من منطقة طرخان وبه مسند من الخشب تحت الرأس

نقلاً عن:- ابراهيم يوسف الشتلة،المرجع السابق،ص١٣٩.

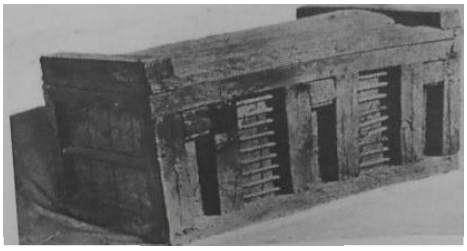

شكل رقم (٤)

أ-التابوت البدائى فى الاسرة الثانية والثالثة وهى أقدم أنواع التوابيت منذ الدولـــة القديمة (لاحظ وجود شكل علامة ⧖ الجد الهيروغليفية وترمـــز الـــى المعبـــود أوزوريس إله الموتى)* وهو تابوت خشبى من طرخان المتحف المصرى رقـــم JE43794

نقلاً عن :- محمد عبد الرحمن السيد الشافعى،دراسة الفكر الدينى،ص٢٧٩.

شكل رقم (٥)

تابوت مستطيل من الخشب وبه عينى الوجات من الدولة الوسطى اللشت

نقلاًعن :- Willem.H,chiest of life

الخلاصة

بعد هذا العرض يمكن أن نستنتج التالى :-

-بعد أرتقاء الفكر الدينى لدى المصرى القديم أدرك أنه لن يُبعث مرة أخرى ألابوجود الجسد سليماً ،لذلك حرص المصرى القديم على الحفاظ على جسده سليماُ عن طريق حمايته بواسطة التوابيت المغلقة.

-ظهر التابوت البدائى من خلال حماية الجسد داخل الحفرة أو مخافة كلاب الصحراء المتوحشة وذلك لبقاء الجسد سليماُ .

-تعرفنا على تكوينات التابوت البدائى وكيف ظهر هذا التابوت بشكله البسيط وتطوره الى أن اصبح فى شكله الحالى سواء التوابيت الملكية أو توابيت الافراد.

-تعددت أسماء التابوت خلا العصور التاريخية وتطورت زخارفه ونقوشه التى أصبحت سجلاَ تاريخياُ ودينياُ من خلال النصوص الدينية التى ظهرت بنهاية الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الاول .

-متون التوابيت، هى تطور لنصوص الأهرام وكانت بمثابة الروح بالنسبة للتابوت وعددها يزيد عن ١٢٠٠ فقرة من النصوص الجنائزية.

-تشابه توابيت الأفراد مع توابيت الملوك بنهاية الدولة القديمة وقيام الثورة الاجتماعية الاولى مما أدى الى الاهتمام بتوابيت الافراد.

-اصبح التابوت وسيلة من وسائل حماية الجسد وبتطوير صنعه ونقوشه اصبح بديلاُ عن المقبرة ونقوشها فى العصور المتأخرة

١ ـ أحمد صالح ، التحنيط (فلسفة الخلود فى مصر القديمة ،الأقصر ، ١٩٩٩م ، ص١٨ـ١٩.
٢ـ ابرهيم يوسف الشتلة،جزور الحضارة المصرية،جيزة ،١٩٩٨م، ص٥٣ .
٣ ـ زكية طبوزادة وممدوح الدماطى، التاريخ المصرى القديم من البداية الى نهاية الدولة الوسطى،الأداب جامعة عين شمس، ص١٨ـ١٩ .
٤ ـ روجيه ليشتنبرج وفرانسواز دونان، المومياوات المصرية من الموت الى الخلود،ترجمة /ماهر جويجاتى ،ج١ ،ط١ ،القاهرة،١٩٩٧م، ص١١ .
٥ ـ زكية طبوزادة وممدوح الدماطى، المرجع السابق، ص١٩ .
6- G . Maspero ,Manual Egypton Archaelogye,London,1914, p 320.
*"عين الوجات" تمثل هذه التميمة العين اليسرى للمعبود "حور" التى أنتذعها المعبود "ست " أثناء صراعهما معاً ،وقام المعبود جحوتى بعد ذلك باصلاحها وارجاعها مرة اخرى للمعبود حور ،وتمنح من يرتديها القوة والحماية الالهية ، وهى أشهر التمائم وتعبر عن الماعت وتعبر عن عوامل البعث . راجع :ـ أيمن عبدالفتاح حسن وزيرى ، مفهوم ومظاهر الخلود فى مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، رسالة دكتوراة غير المنشورة ، قسم الاثار المصرية ،كلية الاثار ، جامعة الفيوم ،ج١ ،٢٠٠٩م،ص٤٦٩ ـللمزيد راجع:ـ
-Harnis,G,Isis and Osiris,London,1996,pp33-34.
7-Eltayeb Sayed Abbas;Ritual Scenes on the two Coffins of pA-di-imn in Cairo Museum ,BAR International series, p18
٨ـ صدقة موسي على، المرجع الاقليم السادس عشر (منذ أقدم العصور وحتى نهاية الدولة الوسطى) رسالة ماجستير غير منشورة،قسم التاريخ ، كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٨٩م، ص٨٧٩
٩ ـ محمد عبد الرحمن السيد الشافعى ، المرجع السابق ،ص٤٤.
10-Wb,Der Aegptischen Sprache,Berlin,1971.p15.
١١ـجلال أحمد أبوبكر ،اسيوط (حتى نهاية الدولة القديمة) رسالة ماجستير غير منشورة ،الاداب جامعة المنيا ،١٩٨٩م ،ص٢٠٦ـ٢٠٧.
12- Donold .B .Redford ; theOxford Encycopedia of Ancient Egypt, vol 1,Oxford, 2001 , p. 279.
١٣ ـ أحمد جبرسلامة نور الدين، المرجع السابق، ص١٨٠ .
وللمزيد راجع : -Wb,p.63
14- Paul Dickson , Dictionary of Middle Egyption in Gardiner classification order , USA ,2006 ,p134. .

١٥ـ تعنى هذه الكلمة معنى Sarcophagus أى التابوت الحجرى راجع:ـ DME,p.127.

16-Wb,p.600.
17-Wb,1,199,14.
وللمزيد راجع ايضاً : -DME,p267

18- Fcd,1,p.217.

١٩ ـ محمد عبدالرحمن السيد الشافعى،دراسة الفكر الدينى لتوابيت عصر البطالمة (دراسة تطبيقية على تابوت فى قاعة ٤٩ بالمتحف المصرى ،رسالة ماجستير غير منشورة ،الاداب جامعة القاهرة ٢٠٠٨م ،ص٣١ .

وللمزيد راجع:- -Wb,p.561.

20-DME,p.1115.

21-Hayes.w.c ,Royal Sarcophgi of the xviii Dynasty,New yourk,1935 p.153.

22- Donold .B ,Red ford ;op.cit,p.279.

٢٣ـ وعن كلمة "سيد الحياة" راجع ايضاً: -DME,p267.

٢٤ـ محمد عبد الرحمن السيد الشافعى، المرجع السابق، ص٣١ .

25- Erik Hornange, The Ancient Egyption Books of the after life,london,1999,p.7 . . .

٢٦ ـ أحمد جبر سلامة نور الدين، مقابر أفراد الدولة الوسطى فى الجبانة المنفية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآثار ،جامعة القاهرة ،٢٠٠٧م، ص١٨٠.